من الثقافات الشعبية صناعة العطور في العراق القديم

د. سهيلة مجيد احمد

قسم التاريخ / كلية الآداب

جامعة الموصل

الاستلام **القبول**

٢٠١٢ / ٠٢ / ٠٨ ٢٠١٢ / ٠٤ / ٠٣

Abstract

The perfumes in dustry considers as one of the old industries, generally in the ancient Near east, in General and in Mesopotamia in particular soothe fragrants regard as of luxury materials for human being, and at the same time among the materials which are to supplement the appearance of hygiene, beauty , and good test.

The perfumes industry expresses. The culture of people so, Human being gives great interest. from the ancient time to know what leads to sweet smelling which brings comfortable and makes feeling of pleasant and relaxation.

The fragrance in dustry is one of an ancient in dustries as ancient as man, nobody knows the accurate beginnings of its discovery, probably associated with discover the fire by man, When he attracted by the smeth emitted from burning of some old wood, spec idly the timber which produces gum, it's smell spread into air with sweet smelling.

The research includes three sections, the first one deals with General de finition of perfume, it's trade. and it's resource while the second section sheds light on the extraction stages of perfume, and application texts about perfume industry.

Finely the third section deals with visage of perfume in General occasions (happiness or sadness), domestic using, and in drugs.

ملخص البحث:

تُعد صناعة العطور واحدة من الصناعات القديمة في منطقة الشرق الأدنى القديم عموماً وفي بلاد الرافدين خصوصاً، إذ تعد العطور من المواد الكمالية للإنسان، وفي ذات الوقت هي من المواد المكملة لمظاهر النظافة والجمال والذوق الرفيع.

تُعبر صناعة العطور عن ثقافة الشعوب لذلك نرى اهتماماً واضحاً لدى الإنسان ومنذ القدم في التعرف على ما يدل على الرائحة الزكية التي تريح النفس وتشعرها بالطمأنينة والراحة.

إن صناعة العطور من الصناعات القديمة وهي قديمة قدم الإنسان ولا يعرف على وجه الدقة بدايات اكتشاف العطور ويرجح ان تكون متزامنة مع اكتشاف الإنسان للنار، إذ تنبه الإنسان الى الرائحة المنبعثة من اشتعال بعض أنواع الأخشاب القديمة لاسيما الأخشاب التي تفرز صمغاً يعبق الجو بالروائح الزكية حال اشتعاله.

تضمن البحث ثلاثة محاور:

تناول **المحور الأول** تعريف عام للعطور وتجارتها، ثم مصادر العطور، أما **المحور الثاني** فتناول مراحل استخلاص العطور، ونصوص تطبيقية لصناعة العطور. أما **المحور الثالث** فتناول استعمالات العطور في المناسبات العامة (المفرحة والمحزنة) والاستعمالات المنزلية وفي صناعة الأدوية.

المقدمة:

تُعد صناعة العطور واحدة من الصناعات القديمة في منطقة الشرق الأدنى القديم عموماً وفي بلاد الرافدين خصوصاً، إذ تعد العطور من المواد الكمالية للإنسان، وفي ذات الوقت هي من المواد المكملة لمظاهر النظافة والجمال والذوق الرفيع.

تُعبر صناعة العطور عن ثقافة الشعوب لذلك نرى اهتماماً واضحاً لدى الإنسان ومنذ القدم في التعرف على ما يدل على الرائحة الزكية التي تريح النفس وتشعرها بالطمأنينة والراحة.

لقد ركز الإنسان في هذه الصناعة على ما كان متوفراً في بيئته من مواد أولية، لاسيما المصادر النباتية التي تنبعث من ورودها الروائح الزكية والعطرة فحاول الإفادة منها في صناعة العطور.

إن صناعة العطور من الصناعات القديمة وهي قديمة قدم الإنسان ولا يعرف على وجه الدقة بدايات اكتشاف العطور ويرجح ان تكون متزامنة مع اكتشاف الإنسان للنار، إذ تنبه الى الرائحة المنبعثة من اشتعال بعض أنواع الأخشاب القديمة لاسيما الأخشاب التي تفرز صمغاً يعبق الجو بالروائح الزكية حال اشتعاله[١]. لذا ارتبط اكتشاف العطور واستخدامها من حياة الإنسان، ولعل المصطلح اللاتيني الذي يشير الى العطور والمعروف بـ (per fume) الذي يعني العطر يتكون من مقطعين (per) ويعني بواسطة و (fume) وتعني دخان وهي كلمة تشير الى النواتج المتجمعة من عمليات حرق الأخشاب مثل البخور التي توجد فيها مواد عطرية تظهر رائحتها حال احتراقها[٢].

قسم البحث الى ثلاثة محاور: تناول المحور الأول تعريف عام للعطور وتجارتها ومن ثم مصادر العطور.

العطر لغة: هو اسم جامع للطيب والجمع عطور والعطار بائع العطر وحرفته العطارة، ورجل عاطر، وامرأة عاطرة ومعطرة أي يتعهدان أنفسهما بالطيب ويكثران استعمالاته[٣].

أما العطر اصطلاحاً: فتعني كل الأشياء التي يتطيب بها الإنسان لحسن رائحتها وجمعها عطور[٤].

تجارة العطور:

لقد اعتمد التجار العراقيون في توفير المواد الأولية الخاصة بصناعة العطور على استيراد المواد الأولية من البلدان المجاورة، إذ تم استيراد المواد العطرية من إيران[٥]، ان إمكانية التنقلات عبر عيلام الى الأقسام الجنوبية الشرقية من إيران وفر إمكانية الاتصال بمناطق الهند وأفغانستان وربما ابعد من ذلك مع مناطق أواسط آسيا، إذ لعبت مدن عيلام الوسيط في تجارة المواد الكمالية الهامة ومنها العطور[٦]، وكذلك من بلاد الشام إذ تم استيراد الريحان الشامي والقصب فضلاً عن أكياس الصمغ الذي استعمل في صناعة العطور[٧].

فمن عهد شرُّ – كين (سرجون الاكدي) ٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م عثر في احد قبور مملكة اشنونا على مادة الكوبال وهي من أنواع الاصماغ المتحجرة وهي تشبه رائحة العنبر، ومعروف ان العنبر يوجد في زنجبار ومدغشقر وموزهبيق وهذا ما دفع الباحثين الى القول ان هذه المادة دخلت الى العراق في عهد سرجون الاكدي عن طريق ايبلا[٨]، التي كانت لها صلات مع مصر والتي كانت حلقة الوصل بين بلاد الشام وأفريقيا[٩].

أما في عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) فإن الدولة كانت تلتزم بتوفير احتياجات المعبد، ولعل العطور والبخور من المواد الضرورية للمعبد إذ كانت الدولة تتولى استيرادها لإغراض إقامة الشعائر والطقوس الدينية أثناء مراسيم الاحتفالات وكذلك لإغراض تطهير وتعطير أماكن إقامة تلك الشعائر والطقوس[١٠].

وفي عهد الملك شولكي (٢٢٥٥-٢٠٤٠ ق.م) تذكر النصوص عن جلب راتنج أشجار الأرز من جبال امانوس ودفع ثمنها بالفضة إذ كانت تستخدم هذه المادة لصناعة العطور ويشير النص الى: "طالنتاً واحداً راتنج كلفته (١٠) شيقلات فضة[١١].

وفي عصر حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) استوردت بابل الطيوب والافاوية من الهند[١٢].

اما في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق,م) فقد فرض الملوك الآشوريين على ملوم وزعماء العرب الجزية وفي مقدمتها الذهب والأحجار الكريمة والعطور[١٣].

وشهدت فترة حكم الكلديين (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) تغييرات في القوى السياسية التي أدت الى تأثير سلبي على تجارة العراق مع الخليج العربي، اذ لعب ازدهار تجارة القوافل العربية دور في إضعاف النشاط التجاري البحري في الخليج العربي، فقد سعى الملك نابونائيد للسيطرة على تيماء

وفدك ويثرب وخبر وهي مراكز تجارية توفر البخور والعطور التي يأتي من جنوب الجزيرة العربية في طريقها الى مدن الشام وموانئها على البحر المتوسط(١٤).

مصادر العطور:

تنقسم مصادر الحصول على العطور الى نوعين العطور المفردة والعطور المركبة.

- **العطور المفردة:** هناك أنواع مختلفة للعطور المفردة يمكن ان نقسمها الى:-

١- العطور ذات المصدر الحيواني

يعد هذا النوع من العطور من الأنواع الباهظة الثمن والنادرة الحصول عليها ومنها:

أ- المسك:

وهو نوع من الطيب، اذ تشير الكلمة الاكدية musukanu (١٥) الى المسك وهي تشابه الكلمة العربية (مسك)، كما ان mušš̌akku (١٦) تشير الى البخور التي تستعمل للفأل في عملية حرق البخور وتصاعد الدخان للإجابة عن الأسئلة الغيبية حسب اعتقاد العراقيين القدماء(١٧).

والمسك هو طيب من الاطياب ذات المصدر الحيواني، وقد ذكر المسك في القرآن الكريم في وصف الأبرار إذ يقول عز وجل في سورة المطففين ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١٨).

يستخرج المسك من دم دابة من نوع الظباء تسمى غزال المسك وهو غزال طوله حوالي متر وارتفاعه من عند الأكتاف نصف المتر وشعره بني رمادي وطويل وخشن، وغزال المسك يتواجد في غابات الهملايا ويفضل أعاليها وتمتد أماكن ظهوره الى التبت والى سيبيريا والشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا عامة. تعتبر أنثى الغزال البري كنز في عالم العطور فهي المصدر الوحيد للمسك الأسود حيث يقوم الصيادون المتخصصون بمراقبة أنثى الغزال لفترة طويلة حتى يتأكدوا من حالتها الصحية وفي فصل معين من السنة يقوم هؤلاء الصيادين باصطياد أنثى الغزال البري مستخرجين من صرتها المسك الأسود(١٩).

يتكون المسك من فضل دموي يجتمع في جسم الحيوان عند السرة ويكون لون(٢٠) الدم فيه احمر وذلك في المرحلة الأولى ثم يتغير لونه حتى يكون اسود في السرة.

أما طريقة جمع المسك فهناك إشارة الى انه عندما ينضج المسك تسقط سرر غزال المسك من نتيجة الحك بأظلافه فتجمع من الجلابين ويشير اليعقوبي الى ان الجلابين يقومون ببناء مرتفع يشبه المنارة بطول ذراع فيحك غزال المسك سرته بها فتسقط هناك ويتم جمعها(٢١).

اما فيما يتعلق بالمسك الذي يحصل عليه من صيد الغزلان وذبحها واخذ سررها فأن مسكها يكون ذات رائحة كريهة وتتم عملية استخراج المسك من هذه الغزلان المعطاة، بأخذ سرتها ودفنها لمدة سبعة أيام[٢٢].

ب- العنبر:

هو مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع وإذا ما سخنت خرجت منها رائحة طيبة، والعنبر يستخرج من سمكة بحرية يقال لها العنبر. وقد اختلفت الآراء حول مصادر العنبر، إذ هناك إشارة الى وجود العنبر في بطن الحوت المسمى بحوت العنبر او (سمكة العنبر) ومنهم من أشار الى ان مصدر العنبر هو من إفراز سمكة بحرية تسمى (أكبال او البال)، ورأي آخر يشير الى انه من إفراز طائر ضخم يسمى عنبرة بالمنافيري وهو شبيه بالخطاف إذا ما رأى قطع العنبر طافية على سطح البحر سقط عليها فتعلق بمخالبه ومنقاره فيموت ويبقى منقاره ومخالبه عالقة في العنبر[٢٣].

ومن المرجح ان العنبر هو مادة تستخرج من بطن الحوت وهي تشبه الشمع وقد تستخرج من أمعاء نوع من الحيتان بسبب حدوث جراحات في جوفها فتحاول فرز مادة تغطي بها هذه الجراحات حتى تشفى فيقوم الحوت بقذف الباقي من تلك المادة من جوفه فتحمله الأمواج الى الساحل حيث يتم جمع العنبر كقطع طافية تصل الى الساحل بفعل الموج والرياح ويعد ذلك من أجود أنواع العنبر[٢٤].

٢- العطور ذات المصدر النباتي:

اما العطور ذات المصدر النباتي فهي ذات أنواع كثيرة وعديدة فمنها ما تكون مادة عطرية، ومنها ما تحتاج الى عمليات كيمياوية من تقطير وتصعيد وتسخين وتسامي لغرض استخلاص العطر منها، وفيما يلي عرض لأبرز المواد الأولية للعطور ذات المصدر النباتي.

١- الزعفران:

تشير الكلمة الاكدية azupuranû الى الزعفران وهي تشابه الى حد كبير التسمية العربية زعفران وهو نبات بصلي معمر من الفصيلة السوسنية ذو زهر احمر ضارب الى الصفرة وينتشر الزعفران في مناطق الشرق الأدنى مثل الأناضول وبعض الأجزاء الشمالية من العراق[٢٥].

يقطف من الزعفران مياسمه والأجزاء العلوية من الزهرة التي تتميز بكونها حمراء لامعة زكية الرائحة وتجفف إما في الظل او في أفران خاصة وتخزن في أماكن جافة، ثم يتم سحقها وخلطها لتكون جاهزة للاستخدام[٢٦].

٢- المُر:

وردت كلمة المُر بهيئة مُرُّ murrû وهي مطابقة للفظتها في العربية، والمُر مادة طبية ذات رائحة زكية مستخرجة من شجرة المر التي هي من فصيلة البخوريات والتي يكثر وجودها في جنوب الجزيرة العربية والحبشة[٢٧].

وشجرة المر كثيرة التفرع وأوراقها صغيرة، ومن المادة الصمغية التي تسيل من ساق الشجرة تلقائياً او بعد إحداث شقوق فيها يستحصل على المر ويكون لونه اصفر وعندما يجف يتحول الى مادة صلبة ذات لون بني ضارب الى الحمرة وهو ذو طعم مُر[٢٨].

٣- شجرة العرعر:

لقد وردت كلمة العرعر في اللغة الاكدية بصيغة burāsu [٢٩]. وهي شجرة دائمة الخضرة يصل ارتفاعها الى (١٠) أمتار كثيرة التفرع أوراقها خشنة أبرية تخرج في مجموعات ثلاثية العدد وقمتها حادة أزهارها صفراء اللون ينتمي شجر العرعر الى فصيلة العائلة الصنوبرية وهو من النباتات العطرية[٣٠].

٤- زعتر:

وردت كلمة زعتر في المفردات اللغوية الاكدية بصيغة مماثلة للعربية وهي زعترو ونبات الزعتر من فصيلة الشفويات طيب الرائحة ابيض الزهور، ويكثر استعماله في صناعة لعطور وفي الطب لتحضير بعض الأدوية[٣١].

٥- سُعد:

وردت كلمة Sauādu [٣٢] باللغة الاكدية وهي مشابهة للفظته العربية والسُعد هو نبات ذو أوراق شبيهة بأوراق الكراث إلا انها أطول واصلب وثماره شبيهة بنوى الزيتون منها طويلة ومنها مستديرة وهو من فصيلة السعديات وجذوره على هيئة أبصال صغيرة وذات رائحة طيبة يتطيب بها الناس[٣٣].

٢- العطور المركبة:

أما النوع الثاني من العطور فهي المركبة وتتمثل بالأزهار والرياحين المختلفة وتعد الورود المصدر الأساسي للعطور المركبة إذ يتمثل بزهر نبات ذي الرائحة العطرية، ويمكن الحصول عليه عن طريق استقطار ماء الورد لينتج عنه ما يعرف بماء الورد او دهن الورد[٣٤]. ومن أنواع الورود ما يلي:

١- السوسن:

وهو نوع من الزهر من فصيلة السوسنيات تكون أزهاره بنفسجية وبيضاء وصفراء [٣٥].

٢- سمسق:

وهو من الأعشاب الطيبة الرائحة وهو من فصيلة الياسمين[٣٦].

٣- الآسي:

تشير كلمة الآسي الواردة في النصوص المسمارية بالكلمة الاكدية asû ويعني الشجرة الطيبة الرائحة، وهي رائحة زكية تتميز بها شجرات الآس وقد استخرجوا من الآس العطر والزيت وأطلقوا عليه مصطلح زيت الآس [٣٧] فضلاً عن زيت خشب الصندل والسرو، وكذلك ما كان متوفراً في بيئة بلاد الرافدين من ورود كان يستفاد منها في صناعة العطور.

المحور الثاني: مراحل استخلاص العطور

يمكن ان نلخص طريقة استخلاص العطور بالتقطير والاستخلاص ثم التصعيد (التسامي).

١- التقطير:

الطريقة الأولى لصناعة العطور هو التقطير، إذ يتم خلال هذه العملية الحصول على ماء الورد، فقد حدد الباحثون منشأ أولى أجهزة التقطير بحدود (٣٥٠٠ ق.م) إذ عثر المنقبين على جهاز مصنوع من الفخار بعملية التقطير وذلك في موقع تبة كورا[٣٨].

وجهاز التقطير عبارة عن وعاء مخروطي الشكل ذو حافتين الأولى داخلية أقيمت بشكل مستقيم مع البدن وترتفع نحو الأعلى بمستوى الحافة الخارجية، أما الحافة الثانية فبرزت نحو الخارج عن سطح البدن من الخارج مكونة قناة بينها وبين الحافة الداخلية الأولى وجهاز التقطير هذا المستخدم عند العراقيين القدماء مشابه الى حد كبير لأجهزة التقطير التي كانت معروفة عند العرب المسلمين.

أما طريقة استخدام الجهاز فتكون بتكرار عملية غلي المحلول او لماء او الزيت وامتصاص ما يتكثف من بخار في أعلى الوعاء بواسطة قطعة قماش بين الحين والآخر[٣٩].

٢- الاستخلاص:

تتم عملية الاستخلاص في جهاز التقطير ذاته وذلك من خلال وضع المادة الحيوانية او النباتية في القناة الموجودة بين الحافتين اخذين بعين الاعتبار ان الحافة الداخلية فيها عدة

فتحات نافذة الى داخل الإناء وبعد وضع كمية من الماء او الزيت (السمسم، الكتان، زيت الزيتون) في داخل الدورق وبعد تغطية الوعاء يبدأ بتسخين الجهاز والعمل على تبريد الغطاء بين الحين والآخر وبذلك تتكثف الأبخرة وتنزل بالقناة فتذهب جزءاً من المادة المراد استخلاصها وتنساب الى داخل الإناء وتكرر العملية لعشرات المرات الى ان يتشبع الماء او الزيت بالمادة المراد استخلاصها[٤٠].

٣- التصعيد (التسامي):

وهي الطريقة الثالثة وتتم هذه العملية باستخدام جهاز مشابه لأجهزة التقطير والاستخلاص، إلا ان وعاء التصعيد (التسامي) اكبر وذو قناة أوسع فضلاً عن عدم وجود فتحات في الحافة الداخلية وطريقة استخدام هذا الجهاز تتم بوضع المادة المراد تصعيدها او تساميها داخل الوعاء وتسخن هناك وتكثف الأبخرة المتصاعدة عند ملامستها لسطح الغطاء الداخلي وتتجمع داخل القناة ثم يصار الى جمع السوائل المقطرة من القناة بواسطة ملاعق خاصة ويبرد الغطاء بين الحين والآخر او ربما يصار الى إبعاد الجهاز كله عن النار وتعاد العملية وتكرر عدة مرات[٤١].

نصوص تطبيقية لصناعة العطور:

لقد وردت في النصوص المسمارية (لا يعرف عصورها) تطبيقات لصناعة العطور من خلال استحصالها من المواد الخام كما في الوصفة التالية:-

"في المرة السابعة من الصب معاً تسخن في ماء طازج جيد وتصبه في وعاء والآن بها ١/٢ قا [٤٢] من المر ١/٢ قا من الوج معصورة، مصفاة تسكب على الماء المسخن في وعاء

دعها تلبث طوال الليل لتغدو رطبة ندية، ومع نور النهار، وشروق الشمس تصفي هذا المحلول والنباتات العطرية بواسطة قماش ترشيح في وعاء ومن هذا الوعاء تصفيه في وعاء آخر. نظم أمر الثقالة زن ١/٢ قا من هذه المادة المصفاة التي بقيت طوال الليل مع النباتات

العطرية السرو الخالص والمر والوج، و ١/٢ ١ قا انك ستعالج هذا كالسابق وستصبه على حدة،

عليك ان تشعل النار تحت قدر ٠٠٠ والماء الساخن. وحين تغدو حافة القدر سميكة ٠٠ دع أصبعك تحوم فوق قدر وحتى تصبح حارة كماء الغسيل، دع النار ترتفع أكثر فأكثر. وعند ذاك يكون ماؤك للمزيج مسخناً كغاية ينبغي ان نصب الزيت وتحركه بالمحراك وعندما يتداخل

ويتغلغل بعضه بعضاً اعتني بالنار وغط النار. وحين نذوب المواد المسخنة، لن تعود بحاجة الى التحريك بقوة. تحط قدر برده وأزل الزيت، اغسل القدر وامسحه هذا هو غسل المرة السابعة(٤٣).

وفي هذه العملية تكون قد أجريت عملية الحل بالنقع والاستخلاص فأولاً بالماء، وثانياً بالزيت كوسيط للزيوت الجوهرية. ويبدو ان عمليات استخلاص العطور ليست كلها متشابهة، فالعمليات تتنوع ببعض الخطوات المعينة مثل إضافة المزيد من المواد الخام (من المادة النباتية المعصورة والمسحونة سواء كانت بالاستخلاص باستعمال الحرارة والزيت او باستعمال الزيت فقط او الماء. ومن الواضح ان صنع العطر كان عملية معقدة وتحتاج الى وقت طويل وكلفة عالية.

إذ تصف عملية الاستخلاص التالية وصفاً لاستعمال العصر متبوعاً بالاستخراج بالزيت وذلك كخطوة في صنع العطور وكما يلي:-

"في المرة الرابعة من الصب معاً، تسخن ماءاً طازجاً جيداً وتسكبه في قدر ويلبث المزيج طوال الليل منقوعاً. وفي الصباح تغطي بالماء والنبات العطري، مستعملاً منخلاً قماشياً في قدر آخر ثم قماشاً في قدر آخر، ثم زن ٣ قا من الوج، (٣) قا من المر المعصور والمصفى و (٤٠) قا من الماء الذي لبث طوال الليل مع الوج المر وأفعل ما فعلته سابقاً بالوج والمر. أشعل النار وحين يكون الماء الضروري للمزيج قد سخن، صبه على الزيت وحركه. وحين يتداخل ويتغلغل الزيت والماء والنبات العطري بعضه في بعض وتبعاً لن تكون حاجة للتحريك أكثر، اخفض النار تحت القدر ودع ما فيه يلبث يومين او ثلاثة أيام"(٤٤).

ومن المهم في هذا الإجراء ان ماء المعطر في عملية التنقيع الأولى يستعمل للدفعة الثانية في خطوة التنقيع التالية. وهكذا يتضح ان العملية الاعتيادية تتألف من عشرين خطوة.

وفي التصعيد (التسامي) يرد نص يشرح هذه العملية "في المرة العاشرة من السكب معاً، أزل الزيت ٠٠٠ واغسل قدر وصب فيه ملْ كأسين من البلسم المتكثف، ودعه يلبث كذلك طوال النهار. وفي المساء، ضع الماء الذي كان يحتويه قدر و (١٣) ق من البلسم في طاسة، ودعه يلبث طوال الليل أشعل النار ودع لنبات العطري يسخن. صب الزيت في قدر وحركه وغطه لإنزال المادة العضوية. ان النار ستغدو كثيفة وستتصاعد رغوة الزيت عليك ان تمسح بقطعة قماش، مادة betānu الموجودة في قدر، مرة بعد مرة، ثم تحركه وتغطيه ويلبث أيام في قدره"(٤٥).

المحور الثالث: استعمالات العطور

١- استعمال العطور في المناسبات العامة

لقد استعملت العطور في مناسبات عديدة سواءً كانت مناسبة مفرحة او مناسبة محزنة فضلاً عن استخدامات عامة أخرى وفيما يلي هذه الاستعمالات.

استعمال العطور في المناسبات المفرحة

تعد العطور مادة أساسية يجب ان تتوفر في المعابد لغرض استخدامها في الطقوس الدينية داخل المعابد ففي عهد سلالة أور الثالثة التزم ملوكها بتوفير احتياجات المعبد من العطور والبخور وذلك باستيرادها من المناطق المتوفرة وذلك لإغراض إقامة الشعائر والطقوس الدينية أثناء مراسيم الاحتفالات وكذلك لإغراض التطهير وتعطير أماكن إقامة الطقوس والشعائر الدينية(٤٦) داخل المعابد. وكذلك في القصور الملكية استخدمت العطور الزيتية في الحياة اليومية وفي الحياة العامة ومن استعمالات العطور في المناسبات المفرحة.

أ- مسح الملوك والآلهة والناس بالزيوت العطرية

يبدو ان أهمية الزيوت العطرية كانت كبيرة الى درجة عد فيها المسح بالزيت من الطقوس الدينية الرئيسية. وقد استخدم العراقيون القدماء الزيت لمسح الملوك او الآلهة او الناس(٤٧)، بوصفه طقساً دينياً رمزياً يمارس عند اعتلاء الملك العرش او يتولى الشخص وظيفة مهمة جديدة وذلك يصب الزيت على الرأس ومسحه(٤٨). كما استعمل الزيت العطري في مسح الناس كجزء من طقس للترحيب بالضيوف ففي وليمة آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) التي أقامها في قصره في مدينة كلخو تضمنت قائمة الإعداد زيتاً جيداً لمسح ضيوف الملك من الحاضرين ويبدو ان مسح الضيوف بكميات من الزيت العطري لإعطاء المكان رائحة زكية وراحة واطمئنان للضيوف لاسيما وان أعدادهم كانت كبيرة إذ قاربت (٦٩.٠٠٠) ألف شخص إذ يشير آشور ناصر بال في النص الى ما يلي:-

"أقمت الاحتفالات للشعوب السعيدة من كافة البلدان إضافة الى شعب كلخو لمدة عشرة أيام وسقيتهم الخمر وحممتهم ومسحتهم بالزيت وشرفتهم ثم أعدتهم الى بلد انهم بسلام وبهجة"(٤٩).

يتبين من النص ان المسح بالزيت كان من التقاليد المتبعة في العراق القديم وانه يدلل على مدى تشريف الشخص وتقديره بحيث استخدم الزيت العطري لمسحه.

كما عرف استخدام الزيوت العطرية على نطاق واسع في المعابد أثناء تأدية كثير من الطقوس والمراسيم الدينية والاحتفالية(٥٠).

إذ جاءت النصوص للتحدث عن تقديم الزيت للمعبد وذلك لمسح تماثيل الآلهة في المعابد إذ كانت الزيوت إحدى القرابين المقدمة لهذا الغرض، ففي ملحمة كلكامش يقدم كلكامش لآلهة الحامي الزيت بمقدار زنة قرون الثور السماوي الذي أرسلته عشتار لقتال كلكامش واستطاع الانتصار عليه وقتله اذ جاء في النص:-

"فانبهر الصناع من كبر قرنيه فقرب

بمقدار ذلك زيتاً للمسح الى آلهه الحامي
لوكال بندا"[٥١]

ب- استخدام العطور في مراسيم الزواج

استخدمت العطور في بعض مراسيم والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، ومنها الاحتفال بالخطوبة إذ كانت العطور ولا زالت تعد مظهراً من مظاهر الفرح والزينة ولاسيما كونها مادة تجميلية أساسية تستعمل للعروس اذ كان الخطيب يصب الزيت على رأس خطيبته كتقليد متعارف عليه لحين إتمام تدوين العقد.

ومن المؤكد ان المقصود هنا ليس الزيت المعروف لدينا بل انه زيت عطري يشبه بعض الروائح الزيتية المستخدمة في الوقت الحاضر[٥٢].

هذا وتجدر الإشارة انه من المتعارف عليه في الوقت الحاضر ان تقدم العطور مع أدوات الزينة للعروس.

ج- استخدام العطور في المناسبات المحزنة

لقد عرفت عادة استخدام العطور لتعطير الموتى ولاشك ان الغاية من استخدام العطور للميت هي من اجل إزالة الروائح الكريهة التي تصيب جسد المتوفى بعد وفاته. وجاء في احد النصوص:

"صبوا الزيت الجيد على جثته الهاوية الى الأرض" [٥٣] ولا زالت الى وقتنا الحاضر تستعمل العطور في تعطير الموتى بعد غسلهم بالماء والصابون.

كما استخدمت العطور ولاسيما ماء الورد في تعطير مجالس العزاء وذلك لتعطير الأجواء وربما لتهدئة النفوس والتخفيف من الحزن والأسى فضلاً عن استخدام العطور والبخور في المقابر والتي لا زالت هذه العادة متعارف عليها الى وقتنا الحاضر.

٢- استخدام العطور في الإنارة

استعملت العطور الزيتية في المصابيح التي يتم إيقادها لإنارة الدار وكان الزيت المستعمل هو زيت معطر وذلك لتعطير أجواء المنزل. إذ ان المعتاد كان استعمال الزيت لإنارة البيوت والقصور الملكية وفي المعابد حيث استخدمت مسارج خاصة للإنارة إذ يشير النص الى ذلك:

"لتر واحد من الزيت من الدرجة الأولى للمشعل الموجود أمام الآلهة"[٥٤].

٣- استعمال العطور في صناعة الأدوية

لقد استخدمت العطور في صناعة المراهم والادهان الطبية والاشربة التي يعالج بها الإنسان، وذكرت خاصية كل عطر سواء استخدم كدواءً منفرداً او الذي يدخل ضمن الأدوية بعد خلطه بمواد أخرى. ففي حالة إصابة الإنسان بأمراض معينة لاسيما إصابة الإنسان بالعفاريت حسب اعتقاد العرافين القدماء إذ يحتاج المريض الى رقى وتعاويذ من اجل التخلص من المرض إذ تقرأ في احد النصوص:-

"لكي تشتمه ٠٠٠ يتم فركه بخليط من مواد عطرية وبخور
وبالقيام بطقوس واقية خشية العدوى"(٥٥).

وهذه الطريقة تبين استعمال العطور في التخلص من الأرواح الشريرة التي تصيب الإنسان.

هذا وقد وصف المرُ لعلاج أمراض العين بعد خلطه بمواد أخرى كما في النص التالي: "وكذلك صمغ (نبات) المرُ (و) النبات الأبيض (و) الملح الطيب " هذه المواد تسحق سوياً وتوضع في أنبوب (من) النحاس (ثم) تنفخ في وسط عينه (داخلهما)"(٥٦).

في حين استعمل نبات السعد لعلاج الم الرأس والأطراف، أما العرعر فقد استخدم لعلاج أمراض الأذن بعد خلطه بعدد من المواد الأخرى كما في النص:-

"صمغ الصنوبر وصمغ شجر العرعر وصمغ المرُ وشجر الأرز
والقصب الحلو وصمغ الميعة والخردل الأخضر وعجينة المعدن
الأحمر هذه (٨) نباتات (مواداً) تبخر الأذنين"(٥٧).

الخلاصة:

يتبين من خلال هذا البحث ان العطور كانت من المواد المعروفة والمستعملة عند الإنسان ومنذ القدم عند اغلب الشعوب المتحضرة وهي تعبير عن ثقافة الشعوب كونها تدخل ضمن وسائل الزينة الخاصة بالإنسان، إذ ان التطيب بالعطور كان ولا زال مستعملاً، فضلاً عن استخدامها في الطقوس الدينية الخاصة بمراسيم العبادات الدينية سواءً في المعابد والقصور الملكية كعلامة من علامات الاحتفال والأعياد او استخدامها في المناسبات المحزنة إذ تستعمل في تعطير الميت وكما اشرنا الى ذلك في البحث فضلاً عن ذلك فقد كانت العطور وسيلة من وسائل التداوي، إذ تدخل بعض العطور في تركيب العديد من الأدوية التي تستعمل لعلاج الإنسان من الأمراض التي تصيبه.

المصادر:

١) الخليل: جهاد وعبد اللطيف: فيصل، العطور صناعة لها تاريخ، مجلة الفيصل، عدد ٢٣١-١٩٩٦، ص: ١٣.

٢) الحيالي: زينب سالم صالح، العطور في الحضارة الإسلامية (دراسة في أهميتها وتجارتها خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص: ٦-٧.

٣) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت (د.ت)، ٢، ٨١٠ وكذلك الفيروز آبادي، محي الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٢-٩٤.

٤) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٨١، ٢، ٨.

5) Oppenheim, L, letters from Mesopotamia,Chicago-1967, p.83.

٦) الهاشمي، رضا جواد، التجارة، حضارة العراق، بغداد – ١٩٨٥، ج٢،ص ٢١١.

7) Leemans, W.F. foreign Trade in the Old Babylonian period, Leiden - 1960,p.116.

٨) ايبلا: تعرف حالياً بتل مرديخ هو موقع تل ايبلا في سوريا، جنوب غرب مدينة حلب الحالية والتي تبعد عنه حوالي ٥٥ كم وقد وصلت أوج ازدهارها السياسي والاقتصادي في الحقبة التي عاصرت فيه المملكة السلالة الاكدية في بلاد الرافدين ينظر: جاسم: إسراء عباس، مملكة ايبلا وعلاقتها ببلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة في الآثار القديمة، كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٠٠٣، ص ١٨-١٩.

٩) بوتس: دانيال، حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد ٢٠٠٦، ص ١٣-١١٤.

10) Limet. H, "les schemas du commerce Neo Sumeria", Iraq. 39/1, 1977, p.5.

11) Michalowski, piot, "foreign tribute to summer during The Ur III, period" Zeit schrift fur Assyrolologie, Bandi 68, New York, 1978,p.3.

١٢) الهاشمي، التجارة، ص ٢١٢.

١٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

١٤) لوفران: جورج، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، ترجمة هاشم الحسيني، بيروت: د.ت، ص ١٣.

١٥) باقر: طه، من تراثنا اللغوي القديم، بغداد – ١٩٨٠، ص ١٤٢.

١٦) ياسين: علي، قاموس اللغة الاكدية العربية، أبو ظبي – ٢٠١٠، ص ٣٧١.

١٧) الجواري: هيثم احمد حسين عبو، نصوص الفأل البابلية في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل – ٢٠٠٥، ص، ٥.

١٨) سورة المطففين، آية ٢٦.

١٩) شبكة الانترنت: www.khayma.com/hawaj/misk-htm

٢٠) الحيالي، العطور، ص ٣٤.

٢١) اليعقوبي: احمد بن يعقوب بن اسحق وهب، كتاب البلدان، النجف ١٩١٨، ص: ١٣٢.
٢٢) الحيالي، العطور، ص: ٣٥.
٢٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧.
٢٤) المصدر نفسه، ص: ٣٧.
٢٥) باقر، من تراثنا اللغوي، ص: ٩٤-٩٥ وكذلك باقر: طه، دراسة في النباتات في المصادر المسمارية، سومر، م: ٨، د: ١، ١٩٥٢، ص ٤٢-٥٢.
٢٦) ابن سينا، الحسن بن علي، القانون في الطب، بغداد – د.ت، ٣٠٦/١.
٢٧) باقر، من تراثنا اللغوي، ص: ١٤٢.
٢٨) الدليمي: مؤيد محمد سليمان جعفر، دراسة النباتات والأعشاب الطبية في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٦، ص: ١٨٠.

29) CAD, B, p. 32.

٣٠) الدليمي، دراسة في النباتات، ص: ١٩٢.
٣١) باقر، من تراثنا اللغوي، ص: ٩٤.
٣٢) المصدر نفسه، ص: ٩٩ وكذلك CAD, S, p. 338.
٣٣) ابن البيطار: ابو محمد بن احمد ضياء الدين الأندلسي المالقي، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، مجلد ٣، القاهرة ١٢٩١، ص: ١٥.
٣٤) الحيالي، العطور، ص: ٥٢.
٣٥) باقر، من تراثنا اللغوي، ص: ١٠٦.
٣٦) المصدر نفسه، ص: ١٠١.
٣٧) المصدر نفسه، ص: ٤٤.
٣٨) تبة كورا: تقع على بعد ٣ كم شرق خرسباد وعلى بعد ٢٢ كم شمال شرق الموصل ارتفاعها ٢٢م فوق السهل عشرون طبقة سكنية تبدأ من عصر حلف وتنتهي في الألف الثاني ق.م وقد نقبت فيها بعثة مشتركة من جامعة بنسلفانيا والمعهد الأمريكي للأبحاث الشرقية. ينظر:
Speiser.E.A, Excavation at Tepe Gawra , vol: I Philadelphia , 1935, pp-18-189.
٣٩) الراوي، فاروق ناصر، العلوم والمعارف، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ج ٢، ص: ٣٤٦، وانظر كذلك المتولي: نوالة احمد محمود، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٥٢.
٤٠) المصدر نفسه، ص: ٣٤٧.
٤١) المصدر نفسه، ص: ٣٤٧.

٤٢) القا: وهو مقياس للوزن ومعناه لتر وهو يعادل بأوزاننا الحالية ٠.٨٤٢ لتر. ينظر رشيد: فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد – ١٩٨٧، ص٣٨.

٤٣) ليفي: مارتن، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، لندن ١٩٥٩، ترجمة محمود فياض المياحي وآخرين، بغداد – ١٩٨٦، ص: ١٨٨.

٤٤) المصدر نفسه، ص: ١٨٩.

٤٥) المصدر نفسه، ص: ١٩٠.

46) Limet. H, les Schemas du commerce Neo Sumeria, Iraq- 39-1977, p.56.

٤٧) احمد: سهيلة مجيد، صناعة الأغذية في العصور العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص: ٨٦.

48) B.D.B, pp.202-603.

وكذلك احمد، صناعة الأغذية، ص ٨٧.

49) Wiseman. D.J, Anew stela of Assur Nasir Pal. II, Iraq, vol: xlv, 1952,p.32.

٥٠) من مراسيم سكب الزيت في المعابد والطقوس. ينظر: علي: فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر حضارة العراق، بغداد. ١٩٨٥، ج ١، ص: ١٩٨ وكذلك:

الراوي: شيبان ثابت، الطقوس المدنية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ٢٠٠١، ص: ٤٨ وكذلك: موسى مريم عمران، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٩٦، ص: ٢٧٥.

٥١) باقر: طه، ملحمة كلكامش، بغداد ١٩٧٥، ص: ٩٤.

٥٢) احمد: صناعة الأغذية، ص: ٩٢ وكذلك ينظر: رشيد: فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد ١٩٧٩، مادة: ٤٢، ص: ١٩٥.

٥٣) ليفي، الكيمياء، ص: ١٣١.

٥٤) سليمان، عامر، "الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة، المدنية والحياة المدنية"، بغداد ١٩٨٨، ج ١، ص: ٢٧.

٥٥) ليفي، الكيمياء، ص: ١٨٩.

٥٦) المصدر نفسه، ص: ١٩٠ وللمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر: عبد الرحمن: عبد الرحمن يونس، الطب في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٨٩، وكذلك: البدري: عبد اللطيف، من الطب الآشوري، بغداد ١٩٧٦.

٥٧) احمد، صناعة الأغذية، ص: ٨٦.